بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومَن اتبع هداه .

أما بعد . . .

فقد قلت فى كتابى « بيِّنات الحل الإسلامى » : لعل « الفن » هو أكثر ما يشغب به على دعاة « الحل الإسلامى » فهم يقولون : إنكم تدعون إلى حياة تحرم فيها البسمة على كل فم ، والبهجة على أى قلب ، والزينة فى أى موقع ، والإحساس بالجمال فى أى صورة .

وأحب أن أقول : إن هذا الكلام لا أساس له من دين الله . وإذا كان روح الفن هو الشعور بالجمال ، والتعبير عنه ، فالإسلام أعظم دين - أو مذهب - غرس حب الجمال والشعور به فى أعماق كل مسلم .

وقارئ القرآن الكريم يلمس هذه الحقيقة بوضوح وجلاء وتوكيد ، فهو يريد من المؤمن أن ينظر إلى الجمال مبثوثاً فى الكون كله ، فى لوحات ربَّانية رائعة الحُسن ، أبدعتها يد الخالق المصوِّر ، الذى أحسن خلق كل شىء ، وأتقن تصوير كل شىء : ﴿ الَّذى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (١) ، ﴿ مَا تَرَىٰ فى خَلْقِ الرَّحْمَنِ من تَفَاوُتٍ ﴾ (٢) ، ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٣) .

ثم نرى القرآن الكريم يلفت الأنظار ، وينبه العقول والقلوب ، إلى الجمال الخاص لأجزاء الكون ومفرداته . .

إن القرآن بهذا كله ، وبغيره ، يريد أن يوقظ الحس الإنسانى ، حتى يشعر بالجمال الذى أودعه الله فينا وفى الطبيعة من فوقنا ، ومن تحتنا ، ومن حولنا . وأن نملأ عيوننا وقلوبنا من هذه البهجة ، وهذا الحُسن المبثوث فى الكون كله .

وبعض الحضارات تغفل هذا الجانب وتوجه أكبر همها

---

(١) السجدة : ٧ (٢) الملك : ٣

(٣) النمل : ٨٨

إلى محاولات الإنسان إلى نقل جمال الطبيعة على حجر أو ورق ، أو غير ذلك ، فهو يرى السماء أو البحر أو الجبل ، أو الأنعام ، ولا يلتفت إلى ما فيها من سر الجمال الإلهى ، وإنما يلتفت إليها حين تُنقل إلى لوحة ، أو صورة مشكَّلة ، فليت شِعرى أيهما أهم وأقوى تأثيراً فى النفس البَشرية : الأصل الطبيعى أم الصورة المقلَّدة ؟؟

إن الإسلام يحيى الشعور بالجمال ، ويؤيد الفن الجميل ، ولكن بشروط معيَّنة ، بحيث يصلح ولا يفسد ، ويبنى ولا يهدم .

وقد أحيا الإسلام ألواناً من الفنون ، ازدهرت فى حضارته وتميزت بها عن الحضارات الأخرى مثل فن الخط والزخرفة والنقوش : فى المساجد ، والمنازل ، والسيوف ، والأوانى النحاسية والخشبية والخزفية وغيرها .

كما اهتم بالفنون الأدبية التى نبغ فيها العرب من قديم ، وأضافوا إليها ما تعلَّموه من الأُمم الأُخرى ، وجاء القرآن يمثل قمة الفن الأدبى ، وقراءة القرآن وسماعه عند مَن عقل وتأمل إنما هما غذاء للوجدان والروح لا يعدله ولا يدانيه

غذاء ، وليس هذا لمضمونه ومحتواه فقط ، بل لطريقة أدائه أيضاً ، وما يصحبها من ترتيل وتجويد وتحبير تستمتع به الآذان ، وتطرب له القلوب ، وخصوصاً إذا تلاه قارئ حسن الصوت ، ولهذا قال النبى ﷺ لأبى موسى : « لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود » [(١)] .

ولا مراء فى أن موضوع « الفن » موضوع فى غاية الخطر والأهمية ، لأنه يتصل بوجدان الشعوب ومشاعرها ، ويعمل على تكوين ميولها وأذواقها ، واتجاهاتها النفسية ، بأدواته المتنوعة والمؤثرة ، مما يُسمع أو يُقرأ ، أو يُرى أو يُحس أو يُتأمل .

ولا مراء فى أن الفن كالعلم ، يمكن أن يُستخدم فى الخير والبناء ، أو فى الشر والهدم ، وهنا خطورة تأثيره .

ولأن الفن وسيلة إلى مقصد ، فحكمه حكم مقصده ، فإن استُخْدِمَ فى حلال فهو حلال ، وإن استُخدم فى حرام فهو حرام .

---

(١) رواه البخارى والترمذى .

وقد عرضتُ لموضوع « الفن » وموقف الإسلام منه ، فى أكثر من كتاب لى ، عرضتُ له فى كتابى « الحلال والحرام فى الإسلام » فى فصل « اللَّهو والترفيه فى حياة المسلم » ، وفى الحديث عن الصور والتصوير ، وفى مواضع أخرى .

وعرضتُ له فى كتابى « فتاوى معاصرة » فى جزئه الأول ، وجزئه الثانى ، فى فتاوى متعددة حول التصوير والغناء ، بآلة وبغير آلة ، والدين والضحك ، واللَّعب بالشطرنج ، وغيرها .

وعرضتُ بتفصيل أوفى فى هذا البحث الذى يتناول « الفنون » بأنواعها المختلفة ، المسموع منها والمشاهَد ، وألوان اللَّهو واللَّعب ، ما يُضحك وما يُبكى ، وذلك باعتباره ملمحاً بارزاً من « ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده » . وفصل الفن واللَّهو فصل أساسى من كتابنا هذا عن ملامح المجتمع .

وقد قرأ بعض الإخوة من الدعاة وأهل العلم والفكر هذا البحث ، أو هذا الفصل ، فوجدوه وافياً فى موضوعه ،

مقنعاً فى أدلته ، أصيلاً فى نظرته ، معاصراً بواقعيته ، فطلبوا إلىّ أن أفرده بالنشر ، ليعم النفع به ، فقد لا يلتفت الناس إليه وهو جزء من كتاب كبير ، وقد يتعسر على بعض الناس شراؤه .

فلم أجد بداً من الاستجابة لهم ، راجياً أن ينفع الله بهذا البحث كل مَن قرأه ، وأن يجزى خيراً كل مَن شَهره ونشره .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة : ربيع الأول ١٤١٦ هـ - أغسطس (آب) ١٩٩٥ م .

د . يوسف القرضاوى

❊ ❊ ❊